روايـة

دارفـــور المـدمـــرة

تأليـف /

محـمـد عـبـد اللّه

الخرطوم
دارفور
السودان
Sawa

دار المنى للطباعة و النشر و التوزيع

حقوق الطباعة و النشر و التوزيع	دار المنى للطباعة و النشر و التوزيع
العنوان	المنصورة – كلية الدراسات الإسلامية القاهرة – حلمية الزيتون Dar.elmona@gmail.com 00201006101006 – 00201155956285 – 00201142129140
رئيس مجلس الادارة مدير الدار	منى عبد اللطيف أحمد مصطفى
تصميم الغلاف	أحمد حسن
اسم الكتاب	أطفال الشوارع
اسم المؤلف	محمد عبدالله عبدالله
نوع الكتاب	رواية
الملكية الفكرية محفوظة للمؤلف	محمد عبدالله عبدالله
رقم الإيداع المحلي	21453/2020
الترقيم الدولى	978-977-6853-09-6

جـرائمُ أشـرف عليهـا عمـر البشـير وعصـابته في الخرطـوم ودارفـور ووكلائـه المحلـيين في دارفـور ميلشـيات النظـام (الجنجويـد)، ومحـارق الأنتونــوف (المــيج) وطــائرات الأبابيــل الــتي ارتكبــت الموبقــات السـبع مـن قتـل الأطفـال الأبريـاء والنسـاء والشـيوخ مـن أهـل دارفـور ودرج الجمـاجم.وحرق قـراهم وتهجيرهـم مـن تبقـي علـي قيـد الحيـاة قسـراً إلـي مخيمـات النـزوح واللجـوء أو وراء البحـار والمخاطر إلي الشتات ...

إهداء

إلي كل الأطفال الذين يُتموا ...

والي كل النسلء والأطفال والشيوخ الذين هُلكوا ...

والي كل الرجال والنسلء الذين مُزقت أجسادهم ...

والي النسلء والفتيات اللاتي هُتكت أعراضهم ...

والي الإنسانية التي عُذبت ...

والي النازحين واللاجئين الذين لجئوا إلي دول أخري هرباً من المجازر التي اُرتُكبت في دارفور...

أهدي هذه الرواية إلي والدي الأستاذ/ عبد الله عبد الله، الذي علمني ما معني الصمود وما التحدي، وأيضاً إلي أمي الحنونة الأستاذة/ حنان داود الذي علمتني، تقبل الأخر، وجعلتني، أحب الحياة، والقراءة، والفن، والعلم. وإلي كل أخواني (عزيز عبد الله، عمر عبد الله)، والي كل أخواتي (صابرين، تسابيح، فردوس، دار السلام، سلمي، آيات). وأهدي هذه الرواية إلي حليمة والشيخ هارون هم أبطال روايتي لهم الشكر والامتنان.

محمد عبدالله عبدالله

دارفــور ليســت فقــط عنوانــاً علــي أزمــة سياســية مســتحكمة وإنمــا هــي أيضــاً عنوانــاً علــي أزمــة معرفيــة حقيقيــة ســببها بعــض الأفكــار الــتي تعــيش في مُخيلــة الــبعض ... ولا تــري في حركــة التــاريخ إلا حركــة الرجــل الأبــيض فقــط "؛ أمــا مــا دونهــا فهــي أمورٌ لا فائدة من الالتفاف لها.

الفصـــــل الأول:

حاجـة خدبجـة مـع أبناءهـا في قريـة مـن قـري ولايـة غـرب دارفـور[1] "الجنينـه" بالتحديـد في منطقـة مـورنى وكانـت القريـة مُكتظـة بالسـكان، فيهـا جميـع الأعـراق والاثنيـات ومعظمهـم مـن أعراق افريقية متعـددة، وأيضـاً جـزء مـن الأعـراق العربيـة، والقريـة مبنيـة مـن القطـا طيـع "(مفردهـا قُطيـه): وهـي بنايـه مـن القـش دائريـة في جزئهـا الأسـفل وسـقفها مخروطـي مـن القـش القصـب أو المرحبيب كمـا نسـميه في دارفـور، أو المرحيـب كمـا يسـمنه أهـل وسـط السـودان، و (راكوبـة) كـبيرة وهـي أيضـاً بنـاء مربـع أو مسـتطيل في شـكل غرفـة لكنهـا كلـها مـن القـش أو القصـب أو وحـدات مـن (الشـرقنية) الـتي هـي نـوع مـن السـواتر المنسـوجة (بالمرحبيب)، بالإضـافة إلـي فنـاء واسـع داخـل الحـوش، والمنـزل هـو

1- صفحة 62

احد المنازل العديدة التي أخلاها المواطنون كرماً وسخاءً لتستخدمها للوفود القادمة من المُدن"، وجزء منها مبنية من الطين الأخضر، والطوب الأخضر، وكانت الحياة في القرية بسيطة جداً، يعتمد أهل القرية علي الزراعية في موسم الخريف وأيضاً علي الثروة الحيوانية، وأما في موسم الصيف يعتمدون ويعشون علي خيرات الخريف الوفيرة، ويبيعون المحاصيل الزراعية (الذرة، والدخن، والفول السوداني، والسمسم، وحب البطيخ، وغيرها من المحاصيل الزراعية)، ومواد أخري في أسواق المدينة، وبأثمانها يشترون بها حاجاتهم الضرورية، وأيضاً يتوفر لديهم الألبان، والسمن الحيواني، والروب، والبيض، ولحوم الدجاج، وفي المناسبات يذبحن الأبقار والأغنام، وتقام الوليمة سواء كان في الأفراح أو الأحزان.

حياتهم بسيطة جداً بيوتهم من القش والطين الأخضر، وفي موسم الأمطار يعانوا قليل بسبب البيوت الغير مسقوفة جيدة، والتعاون فيما بينهم في عمل نفير جماعي لكل أهل القرية في

مساعدة الأهل ذات البيوت الغير جيدة، وفي أثناء النهار كلهم يتوجهون إلي العمل وأثناء الليل تُقام جلسات مع كل آهل القرية في مكان يلم كل أهل القرية في مكان واحد اسمه (الضرء)، وبعد تناولهم لوجبة العشاء، بعضهم يتونس وبعضهم يستمعون إلي الراديو الذي لا يمتلكه إلا القليل منهم. أما التعليم لهم مدرستان أحدهما مدرسة لرياض الأطفال والأخرى مدرسة الأساس، وأيضاً لديهم مركز صحي للأمراض الصغيرة، والأمراض الكبيرة يتم علاجها في المدنية، والقُرى الكبيرة المجاورة لهم، لديها خلوة لتحفيظ القران الكريم.

سكان القرية طيبون علي بساطتهم يتصفون بصفات حميدة والكرم والشجاعة والتعاون فيما بينهم ومساعدة الآخرين.

المرأة في القرية لها دورُ كبيرُ جداً في المنزل مسئولة من عمل المنزل من طهي ونظافة وجلب الماء من الوادي بواسطة (الحمار)، أو حمل الماء علي رأسها من البئر إلي المنزل، وغسل

الملابس والأواني في النهر، وجمع الحطب من الغابة للطهي والتدفئة.

تعتبر المرأة في القرية من أكثر نساء السودان إنتاجاً وعملاً في المجالات الاقتصادية والاجتماعية، دورها في العمل الزراعي حيث تقوم بالفلاحة مُنذ بداياتها من نظافة الأرض وانتهاء الحصاد ولم يتوقف دورها هنا، وإنما أيضاً تتمتع بالماء والكلاء للإنسان والحيوان، فتقوم بعملية الحرثُ وغرس الخضروات وغرس البذور وأيضاً الحصاد، ونقل المنتجات من المزرعة إلي المنزل وجمع التبن، وجمع الحشائش والأعشاب لتغذية الحيوانات وادخارها في موسم الصيف.

لم نكن نحن الصغار قد رأيناها فعندما تمر علينا سيارة هادرة من أمام القرية الذي يُجلس عندها الكبار، وصوتُ المُحرك يصلنا في القرية، وحتى دجاج القرية التي اعتادت أن تنبش الزِبالةُ علي جانب الطريق تفوق هاربةُ، لأنها أدركت أن المحرك الرعد

الـذي يـثير عاصـفة مـن الغُبـار لا يمكـن أن يبـالي بـأي شـيء في طريقه.

أما الكبار فهـم قـد تعلمـوا الوقـوف بمذلـة أمـام القريـة إلـي أن تمـر السـيارة مُزمجـرة ويبقـون هنـاك مُحـني الـرؤوس مُعرضـين هامـاتهم لسحب الغبار الـتي تثيرهـا عجـلات السـيارة إلـي أن تترسـب كلـها عنـد منبـت الشـعر مـن رؤوسـهم ويمـت صـوت المحـرك في البعـد عندها فقط يجرؤون علي الحركة.

أضـافت الجـدة حليمـة إلـي أن الحِكايـات الـتي تُرعبنـا حِكايـة الرجـل الـذي يكـبر لـذلك كنـا نُختبـئ في الأركـان عنـدما نسـمع صوت محرك السيارة.

عنـدما اسـتيقظت القريـة لم تشـرق الشـمس لان السـحاب كانـت تُحجـب كـل السـماء وكانـت السـحابة تـزداد كثافـة واقترابـاً مـن القريـة ولكنهـا لم تكـن قادمـة مـن الـوادي، ولا يمكـن أن يكـون ضـباباً، وأظلمـت الـدينا قبـل الغـروب لان السـحابة كانـت تـزداد كثافـــــــة واقترابـــــــاً مـــــــن القريـــــــة.

عنـد الغُـروب حطـت السـحابة علـي القريـة وعلـي صـفوف الشـجر وكـان الجـراد منتشـراً، وطـال الليـل كانـت السـحابة تـزداد كثافـة وطـول الأيـام الموالية كانـت السـحابة تجـثم علـي القريـة، والقريـة لا تتواصـل إلـي فـتح أعينهـا، لان السـحابة كانـت تتكثـف وتحجـب الشـمس، وغابـت صـفوف الأشـجار وغابـت منـازل القريـة ولم يبقـي أن يتحـرك إلا الجـرادُ المنتشـر. سـدت القريـة كـل المنافـذُ ولكـن الجـرادُ كـان يفـتح المنافـذُ في كـل شـيءُ وعنـدما تسـللت أشـعة الشـمسُ إلـي أعـين القريـة كانـت السـحابة تُجـثم علـي الأرض وتحـرك علـي الأرض وتأكُـل مِـن الأرض وتُغطـي الأرضُ ... فركـت القريـة أعيُنهـا مـرات لكـي تنظـر إلـي صـفوف الأشـجار، ولكنهـا لم تُبصـر إلا في الفضـاء المُمتـد حتـى الـوادي تقـوم فيـه شـجر العُشـر واقفـةُ بيضـاء في صفوف طويلـة متناسـقة، وكانـت الدهشـة كـبيرةُ ولكـن الجـوعُ كـان اكـبر، ولم تجـدُ القريـة غـير الجـراد المنتشـرُ في جميـع أنحـاء القريـة تواجـه بـه جوعهـا ... وتعلمـت القريـة كيـف تأكـل الجـراد، وعنـدما

امـتلأت البُطـون بـالجرادُ، فتجشـآ الجميـع، بـدأ نسـيج الأسـاطيرُ فـالجميع ... وعـادت الأجسـادُ لكـي تُملمـلُ عنـد تلـك الحفُـر الـتي تـزدادُ عُمقـاً واتسـاعاً. تتجشـأ رائحـة الجـراد، وترنُـو إلـي جـدران المنـزل دون أن يتجـرأ احـدُ إلـي إغـلاق متـاريس النوافـذُ الـتي كانت تعبث بها الرياح.

اليـومُ مـر فيـه الجـراد علينـا، وأضـافت القريـة إلـي مُوسـم الجـراد، وكانـت تنتظـره في كـل سـنة. تعهـد عليـه القريـة بالرعايـة لكـي تضـمن قـوات الموسـم الأخـرى، وأصـبح موسـم الجـرادُ ثابتـاً في قريتنـا. في كـل موسـم الشـتاء يـأتي إلينـا الجـراد المنتشـر في جميـع أنحاء القرية، وأصبح موسم الجراد ثابتاً في قريتنا الجميلة.

الحيـاة في القُـرى حيـاة بسـيطة جـداً، ومـع مـرور الـزمن في التسعينات مـن القـرن الماضـي ضـرب إقلـيم دارفـور مُوجـة جفـاف حـادةُ جـداً ممـا أدي إلـي القضـاء علـي معظـم الماشـية، وأيضـاً جـزءً كـبيراً مـن سـكان أهـل دارفـور، وهجـر مُعظـم سُـكان القريـة إلـي

المدن، والبعض الأخر حول المدن، ولكن تبقي جزءً كبيراً من السكان في القرية.

وفي بداية الألفية حصل صراع بين المزارعين والرعاة أصحاب المواشي بسبب الأرض مما أدي إلي نزاع بينهم وأصبح الصراع أكثر تعقيداً، واشتعلتُ نيران الحرب ودارت حربُ بين الأهالي المزارعين والرعاة (أصحاب المواشي) وصارت حرب أهلية بهته. وفي بداية 2002م أُشعل نيران الحرب في إقليم دارفور، وبدأت شرارة الحرب في القُرى من قبل ميلشيات نظام عمر البشير تحت مسامهم الجنجويد. اهتمت الحكومة بتدريب العرب في القتال إلي جانب الحكومة ضد الأعراق الأفريقية، وأطلقت حكومة البشير أو حكومة المؤتمر الوطني اسم الجنجويد.

معني جنجويد:

"أي جنُ يركب جوادُ ، ويحمل سلاحاً".

أي المقـــاتلين يركبـــون علـــي ظهـــور الجيـــاد (الأحصـــنة)، ويحملـــون أســـلحة، الرشـــاش، الكـــلاش، الجـــيم، ويغـــيرون علـــــي القـــــرى فيحرقونهـــــا، ويـــــدمرونها وينهبونهـــــا، ويغتصبون النسلء والأطفال".

هربـت حليمـة وكـان العطـشُ قـد راودهـا وكـان الهـواء الجـاف اثـرُ في حلقهـا فقـد ظلـت طـوال أسـبوع تسـير هائمـة وراكـدة ومختبئـة وراء الوديان والنوم متقطـع وكلمـا وجـدت مخبـأ أمـانً كانـت تختبـئ فيـه، ولم تتوقـف عـن السـير هاربـة بحثـاً عـن مـلاذ بحثـاً عـن مـأوي بحثـاً عـن مكـان امـن يحتضـنها مـن ميلشـيات البشـير المعـروفين باسم الجنجويـد الـذين كـانوا يطـاردون أهلـها الفـارين مـن القـرى المـدمرة مـن بطـش الجنجويـد. وسمعـت حليمـة صـوت قـوى جـداً فأغلقت أذنيهـا مـن شـدة الضـجيج كانـت أصـوات الانتونـوف لهـا أصـوات مُرعـب وجهـور يـتردد الأصـوات علـي الجبـال كأنهـا صـائغة مـن السـماء، وحليمـة مـن شـدة الخـوف الشـديد صـارت ترتجـف وتتمايـل في تعرجـات الـوادي، ونفيسـة كانـت تـدعي ربهـا

كـــي يقطـــع دابـــر الجنجويـــد ويكـــف عنهـــا شـــر الجنجويـــد. ضـمت حليمـة سـاقيها القصـيرتين اللتـان كانتـا تؤلمانهـا مـن شـدة الألم ودفنت رأسها بـين فخـذيها وراحـت تفكـر بعقـل مشـلول عـن التفكير، هل ستتوقف عن السير ...

وتمكث في هذا المكان تنال وقتاً من الراحة؟

هل تذهب بعيداً من هذه القرية إلي مكان ما؟

فســالت دمــوع عينهــا وامــتلأت العيــون دموعــاً كــان نتــاج قهــر محبوس اكبر مـن سـنها وعِـبراتُ مكتومـة لم تأخـذ حقهـا في الخـروج، فـلا وقـتُ للبكـاء في رحلـة الهـروب. فحزنـت حليمـة علـي مصـير أهلـها، واسـتياء مـا ألـت إليـه حالهـا، لأنهـا غفلـت عـن ذكـر أهلـها الـذين هُلكـوا جميعـاً علـي اغلـب الظـن، ومـن ثـم تكمـش رأسـها وتتمتم قائلاً:

- "الحمد لله، فانا علي الأقل لا أزال حية ارزق".

كيف لطفلة في سنها الصغير أن تتحمل كل هذه الضغوطات النفسية والجسدية والعقلية والبدنية؟

حليمة تستريح في ظل ممدود وأفكارها تشتت بين خيارين يحكمها الخوف والرعب، ولكن شبح الجنجويد لم يفارق خيالها، ولم تستطع أن تفكر بشيء أخر. فتذكرت بان جدها والد والدها فقال لها:

- "أن العصابة الحاكمة في الخرطوم، كما يسميهم الشعب السوداني بمليشيات الجنجويد قد دمروا القُرى وشردوا واغتصبوا ونهبوا وقتلوا ونزحوا بأهالي عدد من القُرى الموجودة في دارفور وأطلقوا عليهم الرصاص الحي، وان الدور قادم علي قرتنا لا محال له".

قالت لجدها وعينها تفيض بالدموع:

- جـدي، لمـاذا يفعلـون بنـا هـذا كلـوا؟ نحنـا مـا بشـر زيهم!!! ولا في مخلوق أفضل من مخلوق؟

فأجاب جدها قائلاً:

- "حكومـة البشـير (حكومـة المـؤتمر الـوطني)، تُريـد إرغـام الجميـع علـي فهمهـا المضـمون في العُروبـة ومحاربـة العنصـر الإفريقـي (الزنجـي) في دارفـور، وجبـال النوبـة، والنيـل الأزرق، وأيضـاً طمأنـة في ثـروات دارفـور، (الطبيعيـة، والمعدنيـة، والحيوانيـة)، ولـذلك لـيس خيـار للأهـالي في دارفـور إلا الهـلاك والـدمار والتشـريد والنـزوح واللجـوء والـتطهير العرقـي، ولـيس لهـم خيـار سـوى أن يقضـوا علـيهم جوعاً، بالتطهير العرقي".

عادت ذاكرة حليمـة بهـا مـن جديـد إلـي اليـوم الـذي شـاهدت فيـه طوافـة أمـوتُ لأول مـرة والقتـل والاغتصـابُ وغيرهـا مـن الجـرائم النتنـة الـتي اُرتكبـت في أهـالي دارفـور الأبريـاء العُـزل. اسـتندت

حليمة علي صخرة وكان صوتُ العقلُ داخلها يحدثها بأنه لا أمل في وجود من نجا من أهلها من الهجوم الأخير علي قريتنا . وصوتاً أخراً كان يطرد عنها هذه الفكرة ويُخبرها بان البعض منهم اجتازوا الحدود السودانية التشادية المشتركة، وصلوا إلي مخيم اللاجئين هناك، بل لعلهم في انتظارها . وشعرت بنشاط يدبُ في ساقها بمجرد هذا الاحتمال، فقد حزمت أمرها، وقررت وفكرت وتأملت في السير ما أن تُصبح السماءُ خالية من طوافات الجنجويد ستجد لها مكاناً أمناً تُختبئ فيه عندما يرخي الليل ظلامه، ثم تواصل المشوار في السير في صباح اليوم التالي، بإمكانها عندئذ الوصول إلي دولة تشاد في خاتمة المطاف. فقد أتي قائد المنطقة العسكرية إلي القرية وآمر شيخ القرية حمدان أبو عنجه أن يذهب الشيخ حمدان أبو عنجة له في مقر القيادة لاجتماع ضروري بينه وبين شيخ القرية حمدان أبو عنجة، فقبل شيخ القرية حمدان أبو عنجة دعوة قائد المنطقة فاستجاب لدعوته. وفي اليوم التالي فذهب الشيخ حمدان أبو

عنجة إلي قائد المنطقة العسكرية في مكتب قائد المنطقة العسكرية بالمنطقة.

الشيخ حمدان أبو عنجة قائلاً:

- "السلام عليكم ورحمة الله تعالي وبراكة يا حضرة السيد قائد المنطقة".

فرد القائد العسكري:

- "وعليكم السلام وكان الرد في نوع من الاستفزاز".

القائد العسكري (قائد المنطقة)، مخاطب الشيخ حمدان أبو عنجة:

- فقد سمعتا أقاويل بأنك تدعوا إلي انقلاب حكم نظام عمر البشير؟.

قال الشيخ حمدان أبو عنجة:

- "في انفعال ما هذا الاتهام؟".

القائد العسكري:

- "هناك شهود علي ما نقول". لقد سمعوك ترويج الأساطير بأنك تقلب علينا أهل قريتك الزنوج علي نظام الحكم".

الشيخ حمدان أبو عنجة قائلاً:

- "أذكرك بان أهالي قريتي الذين تصفهم بالزنوج هم مواطنون سودانيون مثلك، وان الجنجويد اعتدوا علينا، وانه كان من واجبك حمايتنا وتحمل مسؤولياتك".

فقاطعة القائد العسكري في غضبُ قائلاً:

- "أنت تدعوا إلي الانفصال، وتدعوا إلي التمرد وهذا خروج عن القانون".

الشيخ حمدان أبو عنجة قائلاً:

- "ما هذا الهراء؟".

أشار القائد العسكري إلي وكيل عريف بغمضة عين، وما هي إلا ضَربُ علي رأس الشيخ حمدان أبو عنجة (بدبشك السلاح) علي رأسه حتى سقط علي وجهة من علي كرسيه وانقلب به. فأحس بألمُ شديدُ علي رأسه، فضربه مرة آخري علي ظهره المرمي علي الأرض، فأحس مرة أخري بألمُ شديدُ يحرق ذراعيه، فقوس ظهره من شدة الألمُ وشعر بان أنفاسه تكاد أن تتوقف من الصدمة المفاجأة، فضربة مرة ثالثة طرحه أرضاً. والألم ينهشه في كامل أنحاء جسمه، وسدد له ضربة علي رأسه فافقد الشيخ حمدان أبو عنجة الوعي.

صاح الشيخ حمدان أبو عنجة وهو يحاول النهوض ولكن لا يستطيع القيام بسبب تلك الضربات القاسيةُ له.

القائد العسكري قائلاً:

- "ها ها ها انك تعترف بأنك تتآمر علي قلب نظام الحكم".

الشيخ حمدان أبو عنجة قائلاً:

- "وعيناه تفيض من الحزن، اتق الله في حق هذا الوطن".

ابتسم القائد العسكري وجلب علي كرسيه من جديد وخاطب الشيخ حمدان بنوع من السُخرية والاحتكار قائلاً:".

- "الآن أصبحت شريكاً لنا في وطننا أيها الدخيل لابد من تطهير البلد منكم أيها العبيد وإحلال العرب مكانكم، لقد أمهلناكم كي تثبتوا أنكم مسلمون جديرون بهذا الدين، ولكننا نري أنكم لا تزالون في غيكم القديم".

حاول الشيخ حمدان النهوض ولكن لن يقدر من شدة الألم فقال له:

- "تلك هي الديمقراطية ولا يوجد مطلقاً ما يمنع الجميع بينها وبين الإسلام".

قال القائد العسكري مقهوراً وهو يحدق في الشيخ حمدان الذي لا يستطيع من النهوض بعد:

- "هذا لن يحدث في السودان أبداً. ويحك أيها الرجل العجوز كلنا علي ضلال أنت الوحيد الذي يملك الحقيقة؟".

فأجابه الشيخ حمدان قائلاً:

- "وهو لا يزال يحاول النهوض، من أجاز لك قتل الأبرياء باسم الإسلام؟". "من أجاز لك النهب باسم الإسلام؟ ومن أجاز لك التشريد باسم الإسلام؟ ومن أجاز لك النزوح باسم الإسلام؟ ومن أجاز لك اللجوء باسم الإسلام؟". أنت هو العبد الحقيقي لأنوا تم استخدامك آلة لتمرير الأجندة من قبل الحاكم، وستلقي حسابك عندما تلاقي ربك الكريم، يومُ لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتي بقلب سليم، فتصبح علي فعلت نادماً

حيث لا ينفع الندم في اليوم وربنا سبحانه وتعالي يأخذ حقه وكل جريمة ارتكبتها سوف الله تعالي يعاقبك عليها ويعاقبك علي كل كبيره وصغيره فعلتها".

فتكشر القائد العسكري وصر وجهة، وغارت عيناه، فقال في داخله:

- "أن الشيخ حمدان ذكره بحساب الآخرة، فخشي سوء العاقبة.

فغير القائد وعاد إلي كرسيه وعوم علي وكيل العريف بإشارة برأسه، ثم نظر إلي الشيخ حمدان أبو عنجة نظرات افتراء وازدراء".

فضربه مرة آخري بعصي وعُذب الشيخ حمدان أبو عنجة بالضرب، وفي ظل هذا التعذيب خرجت روحه إلي عنان السماء، وصار مرتمي علي الأرض جسد بلا روح، فاستشهد هكذا في ظل هذا الواقع من التعذيب والقهر والإهانة

فاستشهد في سبيل الحرية فضحي بروحه من اجل وطنه. ليكون صرخة ... تنقذكم من الثبات الأبدي ومن الصمت الأبدي ... لتقصوا علي ضمير العالم من مآسيكم لحظات الرعب والأمل ... لحظات اليأس والرجاء ، لحظات الحلم بالحرية ... أو الموت.

كانت الشمس قد أوشكت علي الغروب، فسمعت حليمة صوتُ سيارة، وكانت جالسة مع أمها حاجة خديجة في الفضاء (ساحة المنزل)، وكانتا يطهوا في الطعام علي نارُ هادئة، وكانت حليمة ومع أمها حاجة خديجة قد انتهاء من عمليات الطهي. وحبست حليمة خِفيةُ عند سماع هدير السيارة، فخرجت مسرعاً لتري السيارة.

ما الخبر من وراء هذه السيارة؟ ما الخبر؟ ماذا حصل؟ ما سبب ظهور هذه السيارة هنا؟ ماذا تفعل سيارة العساكر هنا؟

فخرج كل أهالي القرية لمشاهدة هذه السيارة العسكرية، وكانت حليمة مُرعبة جدا جداً وضربات قلبها صارت تضربُ، ضرباتُ

خوفٌ ورعبٌ، وقلقة جداً وليست هي الوحيدة، بل وإنما كل أهالي القرية في رعُبٌ وخوفٌ وتشنجات من هذا الموقف.

توقفت السيارة وفي الممر الضيق مرتمي فيه الشيخ حمدان أبو عنجة، فقفز من بابها الخلفي جنديان وكل واحد منهما يحمل رشاشٌ، ثم أمرهم قائد المنطقة بفتح الباب وإخراج الجثة، فتراجع كل أهالي القرية إلي الخلف عدة خطوات إلي الوراء وهم يراقبون الجنديين بصمت تام، فصار كل أهالي القرية صامتين كصمت القبور.

فأنزل الجنديان جُثة رجل من رجال القرية فسار بين جميع أهل القرية همهمة وكلامٌ مُنخفض بينهم.

وباتت حليمة أن تنفجر باكيةٌ، ولكن الخوف ألجمها بلجام الصمتُ، فجفت دموعها من كثرةٌ البُكاء، ففتح الجنديان وجهة جُثة الشيخ حمدان أبو عنجة أصبحت الجثةٌ ملطخة بالدماء وملابس الشيخ مُمزقة حتى صارت حمراء من شدة النزيف، ووجهة منتفخ بالضربات، فتجمدتٌ حليمة في مكانها من دون

تحريك وأصبحت مشلولة من هذا الموقف، وهي تري جدها توأم روحها مصدر إلهامها مُلقي أمامها جسدُ بلا رُوحُ.

فظل الضابط يراقب أهالي القرية ردود أفعال أهل القرية من هذا الموقف ثم خاطبهم قائلاً:

- "وقد رُمِت في فمه ابتسامةٌ ماكرةُ، يبدوا أن الشيخٌ حمدان أبو عنجة قد أصابته نوبةٌ قلبية".

فنظروا فيه كل أهالي القرية بنظرات تضليل وهم يحبسون أنفاسهمُ مِن الخوفٌ والرُعبٌ في دواخلهم.

فقال قائد المنطقة:

- "لقد داهمته النوبة القلبية وهو في ضيافتنا، وها نحن نعيده إليكم، ونقدم لكم تعازينا لوفاته".

فهمهم جميع أهل القريةٌ بكلماتٌ مُبهمة من أن يصدر عنهم كلامٌ قد يستفز العساكر. و فجاءه سمعت حليمة صيحةٌ غضبٌ وانفعالٌ، وهذه الصيحةٌ شقت عنان السماء ورأت أمها حاجة

خديجة وهي احدي زوجات الشيخ حمدان أبو عنجة وهي أصغرهن، واتت وهي مُتجه إلي القائد العسكري وتضربٌ صدرها من شدةٌ الغضبٌ واندفعتٌ نحو القائد العسكري قائلاً:

- "ماذا فعلتٌ بزوجي الطيب أيها الوغد الجبان الوقح فعارٌ عليك أيها السفاك دماء الأبرياء. فماذا فعل لك أن تقتلوه؟ بأي ذنبٌ قتلتٌ زوجي؟".

ما هذه القلوبٌ القاسيةٌ النتنةٌ المُتسخةٌ بدماء الأبرياء، تقتلوا ابني، ومن ثم زوجي بلا رحمة ولا شفقة أيها الأوغاد الجبناء.

فنظر إليها قائد المنطقة فرآها تُقتربٌ منه مُنفعلةٌ مُتجهة نحوه غاضبةٌ وقد ارتفع صياحها فأخرج القائد العسكري من الغمد مُسدسه وصوب نحو الحاجة خديجة، وهي لم تتوقف بل ازدادت حماسةً وشجاعةً أوهبتٌ روحها لله سبحانه وتعالي دفاعاً لحقٌ زوجها ولكن القائدٌ العسكري لا يرحمٌ الرجالٌ ولا النساءٌ ولا حتى الأطفالٌ فصار قلبه كالحجر الأصم فأطلق رصاصة حية

علـي صـدر الحاجـة خديجـة و الأخـرى علـي رأسـها والثالثـة علـي بطنها واستقرتُ الثالثة في بطنها.

وكانـت حاجـة خديجـة تحمـل ابـنٌ في داخـل بطنهـا عمـره 6 شـهور استشـهدت واستشـهد معهـا ابنهـا الـذي لم يـري هـذه الـدينا بعينـه وإنما فارقت الحياة وهو في داخل رحم أمه.

أعاد قائد المنطقة العسكرية مُسدسه إلي غمده وزمجر قائلاً:

- "ريحنا الله سبحانه وتعالي من عاهرةٌ غبيةٌ سوداء".

وصـوب نظـرة علـي الشـهيدةُ الحاجـة خديجـة وهـي تنـزف مـن الـدماء وصـارتُ الـدماء في سـيلٌ جـاري لم يتوقـف عـن النزيـف، وأصـبحت الأرض مُلطخـة بالـدماء حتـى انقلـب لونهـا إلـي اللون الأحمر من شدة الدماء وأصبحت بركة من الدماء.

فقال القائد العسكري:

- "هـذا جـزاء كـل مـن يُهـاجم ضـابطٌ عسـكر الدولـة فهذا جزاءه".

تجمدت الدماء في عُروق الحاضرين من هرولت الصدمةُ تراجعوا جميعاً إلي الخلفُ في تحضير الشهيدةُ حاجةُ خديجة، وسمعتُ ابنتها حليمة وأمها تقول في همسٌ:

- "اشهد أنَّ لا اله إلا الله، وانَّ مُحمد رسَّول الله".

نظر القائد العسكري ببصره في جميع أهالي القرية الذين أصابهم الذهول والخوف وخاطبهم قائلاً:

- "ابلغوا شيخكم الجديد أن يُسرنا إلي أنَّ نظر في عمله و يُشرفُنا بالحضور إلي مقر القيادة المنطقة العسكرية".

ثم صعد القائد العسكري إلي السيارة، وجلس في الكُرسي، المقعد المحاذي للسائق، فتحركت السيارة واتجهت نحو المنطقة العسكرية. فتجمع كل أهالي القريةُ في مُراسم تشيع جنازة دفن الشيخ حمدان أبو عنجة وزوجته الحاجة خديجة، فأحضروا الجنازتين واتجهوا إلي مقابر القرية وتم الشهداء، وأصبحت

حليمة صامتٌ تري بعينها ولكن عقلها بعيدٌ وأصُّيبت بالشلل التام من الموقفُ الصعبُ والحرجُ جداً وهكذا ودعت نفسية جدها الذي كان بمثابة ضلعها الأيمن ووالدتها الذي أنجبتها فقدتهم جميعاً في يومٌ واحدٌ وبعد الدفن رجع كل أهل القرية في حزن تام.

وفي اليومُ التالي فقرر الشيخُ الجديد الذي استولي علي العرش بعد وفاة الشيخ حمدان أبو عنجة، هو الشيخ هارون، فذهب إلي قائد المنطقة بناءاً علي تلبية طلبه.

وفي اليوم التالي عاد الشيخ هارون إلي القرية، نزل من حماره ومشي بضع خطوات وهو يتعرج علي الطريقُ فسقط علي الأرض، وفلما نظر خالد لوالده وهو مرمي علي الأرضُ فركض مسرعاً لوالده، وساعده علي النهوض من الأرض، ثم جاءت حليمة بإبريق من الماء أغسلت وجهة الشيخ هارون، فتبين علي وجهة الشيخ علامات (أثار)، العنف والدم ينزف من وجهة من جديد.

فسألته حليمة:

- "ماذا أصابك يا عموا؟".

وبدأ يروي لهم الشيخ هارون:

- "عندما ذهبت إلي القائد العسكري، وهو يطرق أذني قائلاً:
- أنت تُحرضُ أهل القرية علي قلب نظام الحكم في السودان وتدعو إلي الإطاحة بنظام البشير، ولنا علي ما نقوله لنا أدلة واضحة تدينك ".

فرد له الشيخ هارون قائلاً:

- "نحن مواطنون وأُناس ضعفاء ليس لدينا علاقة بانقلاب الحكومة ".

وقبل ما الشيخ يكمل كلامه فضربة ضربة قاسية حتى أُغم علي الشيخ هارون وغِبت عن الوعي، وبعد ذلك تم تعذيبي في داخل الزنزانة، ومرت ساعات وهم في تعذيبي في داخل الزنزانة،

ومن ثم سمحوا لي أن نأتي إلي القرية، فصرت لا أعرف الشرق من الغرب، ولكن الحمارٌ هو الذي أوصلني إلي القرية.

أصبحت الانتهاكات واضحة جداً في التعذيب والقتل في رجال ونساء القرية، وما زالوا هم صامتين كصمت القبور، وكل يوم بعد يوم يفقدوا رجال القرية الأقوياء، وصار الانتهاك في حقوقهم، وهم ليس لهم القوة أن يدافعوا عن حقوقهم، هم يكابدون ويبحثون عن عيش كريم وفي سلام وأمان، ويصارعون مع الأرض بحثاً عن لقمة عيش كريمة من اجل حفظ النفس من الانقراض والبقاء علي قيد الحياة، ولكن خفافيش النظام ظلت تلاحقهم وكل يوم واليوم الأخر يفقدون شخص أخراً من أشخاص القرية.

والعسكر يتهم أبرياء أهالي القرية بتنفيذ انقلابٌ حكومة نظام المؤتمر الوطني، كلها إشاعة في حق الأبرياء والحكومة محتاجٌ تُفكك كل القُرى بالأخص الأعراق الأفريقية في دارفور وتبقي دارفور كلها الأعراق عربية جست هذا هو فهم حكومة الإنقاذ،

وأيضاً لها الطمع في ارض دارفور وثروات دارفور، وكل خيرات دارفور، دارفور جنة الدينا بطبيعتها الغلابة.

دارفور منبع الحضارات والثقافات والتراثيات، وبلد السلاطين الذين هم حرروا السودان من استعمار الفرنسيين وطرد الانجليز، دارفور كانت مقصودة من زمن الاستعمار الانجليزي، لكن جاءت حكومة أقبح من الاستعمار وهي حكومة الإنقاذ.

انعقد لسان حليمة ولم تجب جواباً، فأومأت برأسها مصدقتاً ومؤيدة كلام الشيخ هارون لم يكن لأهل القرية من حديث طوال الأسبوع غير مدرسة البنات وما حدث فيها. فقد بقي الجنجويد في المدرسة يومين كاملين اغتصبوا فيهما التلميذات والمدرسات أكثر من مرة.

وبعد أن غادروا المكان في نهاية المطاف قتلوا كل البنات والمُدرسات التي تم اغتصابهم واخذوا معهم عدة فتيات، ولم يعثر لهم أي اثر، واخذ الجنجويد جميع المدرسات إلي خارج المدرسة واعدموا كل المدرسات رمياً بالرصاص.

بعد أيام مضت سمعت حليمة علي مواقع الأخبار سمعت خبر بان يحصل مجاعات وحروب أهلية وهجمات إرهابية، وعمليات خطف، وكوارث طبيعية وأعمال اضطهاد يرتكبها الإنسان بحق أخيه الإنسان. وفي اليوم التالي دعا الشيخ هارون كل أهل القرية من اجل اجتماع طارئ، واجتمع كل أهالي القرية، وفي الختام قال الشيخ هارون:

- "أن الأوان وقد حان الوقتُ لترك هذه القرية واللجوء إلي دولة تشاد".

ثم أضاف قائلاً بصوت أمر:

- "غداً صباحاً، أخبروا نسائكم وأطفالكم وشيوخكم أن يجهزوا أنفسهم للرحيل".

فقالت حليمة:

- "فكيف نرحل من قريتنا ونترك ممتلكاتنا".

فأجابها الشيخ هارون قائلاً:

- "لـو تبقينـا هنـا سـوف يقتلوننـا جميعـاً، لـذلك لـيس لدينا حل آخـر، ولـو قعـدنا الجنجويـد لـن يـرحم كـبير ولا صـغير ولا شـيخ ولا مسـنين ولا عجـزة فلنرحـل قبـل أن يـتم الهجـوم علينـا قبـل فـوات الأوان حـان وقت الرحيل".

ومـرور ثلاثـة أيـام هاجمـت القريـة مجموعـة مـن الجنجويـد يركبـون الخيـل والجمـال والحصـين وبعضـهم علـي مـتن السـيارات، ظهـروا الجنجويـد فجـأة ولعـت أصـوات الرصـاص والـذخيرة الحيـة انفـرد عقـد الأُسـر وتفـرق أفـراد الأسـر في كـل اتجاهـات القريـة كسـراب الطيور بخطر مُحدق.

أصـواتُ الرصـاص اخـتلط بأصـوات فزعـة ونهيـقُ الحمـيرُ جفلـت وتملكهـا الرعـبُ، فتجمـدت حليمـة وتجمـد الـدم في عروقهـا لمـا رأت هـؤلاء الجنجويـد، ويتفقـدون مـاذا كـان مـن الجثـث ولا يـزال يتحـرك، ثـم يفتشـون جيـوب الضـحايا ويدسـون أيـاديهم داخـل أكيـاس المرميـة، سـل احـدهم سـكيناً، ومررهـا علـي رقبـةُ الضـحية

فـذبحها مـن الوريـد إلـي الوريـد، ثـم سـدد لـه ثلاثـة طعنـات في صدره قبل أن يبتعد عنه.

واخـذوا كـل ممتلكـاتُ القريـة بأكملـها وبعـدها اشـتعلت الـنيران وأصـبحت القريـة كلـها مشـتعلة بلـهيب الـنيران، فـاحرقوا القريـة بأكملها ولم يبقي لها أثـرٌ ومـا هـي بعـد دقـائق قليلـة ظهـرتٌ طيـور النسور كاسـرة تحلـق في سمـاءُ القريـة، نسـبتاً لـروائح الـدماء المُسـيلة في القرية كسـيل الوديـان والأنهـار، واِحمـرت القريـة بأكملـها بـدماء أهلها.

فنجـا عـدد مـن أفـراد القريـة مـن المذبحـة التاريخيـة الـتي يرونهـا أمـامهم، فهـم أحيـاء يرزقـون. فاقتربـت حليمـة ورأتُ أثـار الـدماء هنـا وهنـاك وجيشـاً مـن الـذباب الأخضـر(الجيش الأخضـر)، فتعرفـت نفيسـة بـين أعـداد الضـحايا، (الجثـث المرتميـة) علـي عـدد مـن جثـث أطفـال جيرانهـا، ولاحظـت أن في صـدورهم وظهـورهم ثقـوب غـائرة اسـتقرت فيهـا رصاصـات قاتلـة. وعثـرت علـي جثـة ابن عمها محمـد ورأت انـه كيـف أنهـم مزقـوا ثيابـه فكشـفوا علـي

عورته، وسددت طعنات علي صدره الذي خربوه بطعنات سامة سددت بنصل السكين، والدماء ما زالت تسيل بين رجليها. قطعت حليمة جزء من ثوبها أسترت به عورة ابن عمها محمد، ثم أغلقت وجهة وفمه.

بلادي غارقة من الدماء

والآلاف من الأطفال والنساء

ما ذنبهم؟

والملايين من المنازل تتمادي حريقاً

ويذهب عقول الناس جياع

وصارت حليمة راكضة برجليها وحتى وصلت إلي الأفراد التي أنقذوا، وفروا هرباً بجلدهم من هذه الانتهاكات الإنسانية، وأصبحوا ماشين ليلٌ ونهارٌ ولم يغمض لحليمة ومرافقيها جفنُ طوال الليل، فنهضوا باكراً واستعدوا لاستئناف المسيرة، وعندما بدا الهجوم علي القرية، ظهرت في سماء القرية طائرات

الانتونوف، وحلقت سماء القرية علي ارتفاع قريب جداً، وألقت قنابلها المغلقة بأسلاك ومتفجرات، فأحدثت حفراً في الأرض وأثارت غباراً.

وكانت حليمة أول من أطلقت ساقيها هرباً نحو الهضاب الغربية وتبعهم أهل القرية، وهم شبه نيام واندفعوا هاربين لا يرون شئ، من شدة الغبار وفي وقت وجيز أصبحت القرية خاوية علي عروشها ولم يبقي سوا المسنين والعجزة والصغار الذين ليس لهم القدرة علي الهروب والهرولة علي الفرار لإنقاذ حياتهم من الهلاك، والدمار، وأصبحوا هم الضحايا وهم الذين استشهدوا في سبيل الحرب من دون سبب وراحوا ضحايا في تاريخ الصراعات السودانية ومن هلك علي عين المكان.

مقطع شعر:

في صمت الحروب والنضال ونزيف النساء والأطفال ...

واغتيال الحضارات واستعلاء الثقافات

حاولت مراتٌ أن أتناسي الكتابة ولم استطيع

حاولت مراراً أن أتكئ علي وسادة ساخرة

تسخر مني ومن يأسي وركودي ولم استطع

ولكن جرحك يا وطني تضاعف في دمي

ومزق أربطتي وغضاريفي بين العظام

ولم استطع أن أهدر في صمتي ذلك الحصار

ولم أهد إليك القمر وفي تمزيقك وحصار شعبك

وقد تذكرينا أن اسمك عند التاريخ له شأن رفيع

ولا يمكن أبداً أن يمر هبلاً ...

وقد تعرفينا أن الشمس عندك يولد مرتين

في نهار الكبرياء وفي ليلة التفاني والآباء

ولا يمكن أبداً أن نقتل الشمس ونترحم علي اطلاعها

ولا يمكن أن أتناسي في حقي إليك

وتداس تحت مطالبة الطفولة

إلا أنني في حصير علي ماضي غريقُ

أريدك يا وطني إعصاراً وفيضاناً

يُغرق مطالب الأوغاد ويكسر شوكة المتربسين كالضياء ...

أريدك الضياء ذاته فخراً وصموداً

أريدك يا وطني توهجاً في كل العصور

يثمر ثورة علي الوضع الخاضع

والآلاف من النساء والأطفال

ما ذنبهم في امتلاك الموت وهدر الدماء

والملايين من المنازل يتمادي حريقاً

ويذهب عقول الناس جياع

والشعب صامتُ كصمت القُبور

وبلادي غارقة في حصار الغضب ورهان التمزق

يا وطني مازالت تواقيع يدي تسطر أهات عديدة

علي صفحات الورق وتنهدات الأنين

وطعنات سامة مغروسة في انتمائي سوداني

سوداني أنا ... فكيف لي أن لا اجن ولا أحس

ولا أموت قهراً لسلب حياتك بالقوة

وقتل زهورك عنوة

وشنق أرواحاً بريئة بالمرض والجوع

يا وطن الأوهام والأشياء

يا وطن الأشياء والأوهام

أني لا أري فيك بالليل إلا قططاً مذعورة تخشي علي أرواحها من سلطة الفئران.

الفصـــــــل الثاني

مخيم (معسكر)

كَوَنَّونُقْوا

كونونقوا سودانيون في مخيم المنفي رواية توثق لأحلامهم وحياة لاجئ دارفور في مخيم كونونقوا في الصحراء التشادية ذهبت إلي المخيم حيث يعشون حياة لاجئون في الصحراء، سودانيون دارفور يون في مخيم المنفي.

في العام 2003م تعرض إقليم دارفور السوداني لهجمات عسكرية منتظمة قامت بها مليشيات ما يسمي بال "الجنجويد" المدعومة من الحكومة السودانية، حكومة المؤتمر الوطني(حكومة البشير).

قُرى ومنازل ومساجد وأسواق ومزارع حرقت ودمرت ثلاثمائة ألف إنسان فقدوا حياتهم، والآلف من النساء والفتيات تعرضوا للاغتصاب والأطفال تعرضوا للقتل والتعذيب.

حتى الأمم المتحدة وصف معانة دارفور ب "المأساة الإنسانية الأكثر قسوة"، هذه المأساة الإنسانية تحدث وسط سمع وبصر الكثيرون حول العالم ووسط صمت العالم العربي والأفريقي والعالم العالمي.

الجنجويد لا يعرفون الكبير ولا الصغير ولا حتى الشجر حتى القرى ومساكن ومساجد تم حرقها.

حليمة تحكي وتقول:

أصبحنا مجتمع في إحباط تام والدنيا كانت خريف والأمطار كانت تهطل بغزارة، سيرا بالأقدام وجزء مننا بالحمير وهكذا عبرنا واتينا إلي الحدود التشادية السودانية.

كونونقوا:

دارفوريون في مخيم المنفي وفصول هذه الحكاية لم تبدأ هنا بدأت هناك ولن تنتهي هنا ستنتهي هناك، هنا مخيم كونونقوا للنازحين في صحراء تشاد وهناك هو إقليم دارفور في السودان

والمسافة بينهما 55 كيلو متر بحساب الجغرافيا، وأما بحساب التاريخ فسنوات من الدم والعذاب، دارفور واحدة من أكثر من المآسي التاريخية قسوة، عدد الضحايا تجاوز الثلاثة ملايين بين قتيل ومشرد ونازحاً ومغتصباً ومكرهاً علي النزوح من إقليم دارفور بتاريخ الضارب بالقدم.

فإقليم دارفور قبل قرار بريطانيا ضمه إلي السودان عام 1917م كانت دارفور سلطنة مستقلة يحكمهم سلاطين مستقلون فأخرهم السلطان علي دينار زكريا بن محمد فضل (رجل النار).

السلطان الذي عُرف بتسيير قافلة بكسى الكعبة الشريفة، وتوفير الغذاء للحجاج كما عُرف بقدح السلطان علي دينار (رجل النار)، وحفر آبار في مكة المكرمة المعرفة بآبار علي.

وكان السلطان علي دينار عدوه الوحيدون هم البريطانيين(الانجليز)، آنذاك الذي كلفه حياته واستقلال بلاده، فرحل السلطان علي دينار ورحلت معه سلطنة دارفور ولكن

الـذي لم يرحـل هـو تـاريخ الأرض والثـروة والشـعب قصـة صـراع لا تـزال مفتوحـة للصـراع في دارفـور وجهـان عرقـي قبلـي سـببه التنافس علـي الأرض وعلـي مصـادر المـاء والمرعـي بينمـا مـا يعـرف بـالأعراق الأفريقيـة المسـتقرة، والقبائـل الرُحـل الـتي وفـدت علـي هذا الإقليم من مناطق مختلفة في فترات زمنية متفرقة.

وجهـة سياسـي مصـدره شـعور الـدار فـوورين بـالتهميش والعزلـة والإهمال و التغبيش والغبن التاريخي.

مخـيم كونونقـوا هـو معسـكر علـي خـط الحـدود الصـحراوي بـين تشـاد والسـودان واللاجـئين الموجـدين فيـه حـوالي ثمانيـة عشـر ألفاً، وثمانيـة وتسـعون لاجئـاً سـودانياً مـن إقلـيم دارفـور يعشـون في مخيم كونونقوا.

الصـــراع في إقلـــيم دارفـــور عـــام (2002-2003)م، مليشـــيات الجنجويـد المدعومـة مـن الحكومـة السـودانية (حكومـة الإنقـاذ، أو حكومة المؤتمر الـوطني) دفعـت نحـو الملايـين مـن الشـعب في دارفـور تـرك منـازلهم واللجـوء هربـاً مـن القتـل والسـلب والنهـب

والاغتصاب والحرق خرجوا بما عليهم من ثياب ومن ضروريات الحياة ومقاومات الحياة (ماء وجزء قليل من الزاد) من اجل البقاء علي قيد الحياة، وأحاطهم الخوف والجوع والعطش لعدة أيام حتى فتحت عليهم الحدود المجاورة منها أفريقيا الوسطي وتشاد، ودولة تشاد تستضيف حوالي 250 ألف لاجئ من إقليم دارفور المدمر هذا النزوح الجماعي لشعب دارفور شكل ملحمة إنسانية بالغة القسوة.

حليمة قائلة :

"لمن تم الهجوم علينا لم يكن لدينا علم، فقط سامين المجتمع يحكي ويقول أن الجنجويد والحكومة قادمون، وفي هذه الغفلة تم الهجوم علينا وكانوا هم يركبون الأحصنة والجمال ولديهم أكثر من 200 سيارة كلها عبر الأرض ، وجوا طائرات الانتونوف، التي تقصف وتهجم من فوق والأرض الجنجويد بالأحصنة والجمال والسيارات، ماتوا عدد كبير من أهل القرية(رجال،

نساء، أطفال، شيوخ، عجزة، كبار السن) واشتعلت نيران الأسلحة وتفرق وتشتت الناس منهم من ذهب إلي المناطق المزروعة، والأطفال وكبار السن في المنازل جزء هرب والجزء الأخر هلك في القرية، فتوجهنا هربا متجهين إلي الغرب وكان الوضع خريفا واجهنا التعب والمشقة والإرهاق والجوع والعطش، والبرد قارصُ، وتركنا كل شيء في القرية أكلتها النار، دخلنا الحدود التشادية وقضينا عدة أيام في أعراء الصحراء المنكشفة فوجهنا كل التحديات الصعبة، وبعدها أتي إلينا النصارى إلي الصحراء فقدموا لنا الأكل والشرب، أتينا هنا بإرادة من الله سبحانه وتعالي، وتركنا كل شيء من أمتعة وكان الواحد لم يحمل شيئاً معه سوى قربة الماء ليسقي منها الأطفال، والبعض حمل شيئاً من الطعام، لكن كل الأشياء تركناها خلفنا الحرق حرق والنهب نهبوا والسرقة سرق لا تعرف أمك ولا تعرف

أبــوك ولا ابنــك ويــن؟ نحــن هنــا وعقولنــا في الســودان وعقلنــا يفكــر في أشــياء منــا لا يتوقــع الإنســان أن ينقضــي عليــه الليــل وهــو حــي يــرزق، تتقــاطع وتتــداخل صــور ومشــاهد الــذكريات الأليمــة صــور ومشــاهد المــوت والتعــذيب والاغتصــاب والقتــل وحــرق البيــوت والضــرب والنهــب والســلب، وصــور الطــائرات الــتي تــنفس المــوت والخــوف ومشــاهد الرجــال الــذين فــوق الأحصــنة والجمــال والــذين فــوق العربــات يحملــون الأســلحة يقتلــون ويغتصــبون وينهبــون، كانــت طــائرات حكومة البشــير تحلــق وتقصــف فينــا، وثــم يــأتوا الجنجويــد علــي ظهــور الأحصــنة يــأتون ويقتلــون المــواطنين الأبريــاء وينهبــون ولا يتركــوا اليــابس واللــين والأخضــر ولا المســاجد بيــوت الله ســبحانه وتعــالي وبعــد القضــاء علــي كــل أهــل القريــة يحرقــون القريــة بأكملــها ولم يبقــي احــد، وفي نهايــة المطــاف لم نجــدوا مكانــاً فهربنــا ودخلنــا في

الأحـراش حتـى في الخـيران والجبـال والوديـان لم تتـوفر لنـا حمايـة، دارفـور مطلـوب أرضـها وثروتهـا، حتـى في بعـض الـدول العربيـة شـاركت في ضـرب دارفـور، في جـزء مـن الطـائرات تابعـة لـدول عربيـة وقصـفت دارفـور والموقـف هنـا عنصـري بحـت، ومـن الجانـب السياسـي كـان مـا في احـد يؤيـد سياسـية البشـير سياسـته معروفـة ونظامـه معـروف، وجميـع الـدول العربيـة تعـرف ذلـك ولكـنهم يؤيدونـه مـن منطلـق عنصـري فقـط جـاءت طـائرات وقصفت القريـة في 5 دقـائق فقـط ونظـام البشـير لا يمتلـك هـذا النـوع مـن الطـائرات الحديثـة، وكنـا خـائفين جـداً لكـن لمـن عبرنـا الحـدود السـودانية شـعرنا بـبعض الاطمئنان".

مآسـي شـديدة جـدا مـن الحـرب فظاعـة وويـلات لان الإنسـان فقـد كل شـيء فقـد كـل ممتلكاتـه وفقـد جـزء كـبير مـن الأسـر فقـد كـل شيء حتى الوطن.

أمـان السـودانيون اللاجئـون في صـحراء مفتوحـة لكـن الأمـان مـا فـتح بـدأت الأوضـاع الأمنيـة مضـطربة وهـو ابـرز تحـديات الـتي تعكـر حيـاة اللاجئـون وتعرقـل عمـل إغاثـة منظمـة الصـحة العالمية.

دولة تشاد دولـة كـبيرة جـداً والمسـافة بـين مخيمـات اللاجـئين أل 12 في الشـمال والجنـوب تبلـغ حـوالي 800 أو 900 كيلـومتر، ومـن أصـعب التحـديات الـتي واجهـت المخيمـات عـدم الاسـتقرار السياسـي طبعـاً، أنهـا غـارات مسـتمرة ودائمـة تنفيـذها جماعـات مليشية مسلحة.

المنظمات وفرت لهـم الخـدمات الصـحية، ووفـرت لهـم ميـاه الشـرب والغـذاء والعنايـة بـذوي الاحتياجـات الخاصـة ومنحـوهم اهتمامـاً خاصـاً، يعيشـون حيـاة لاجئـون في الصـحراء بالقـدمين، واحـدة في المخـيم، والأخـرى علـي عتبـات طريـق العـودة إلـي الـوطن المفقـود في بيئـة حركـة ونشـاط وخصـوص اللاجئـون وتفاصـيل حيـاتهم اليومية، محـلات بقـالات صـغيرة وأسـواق صـغيرة ومحـلات لإصـلاح

الأجهـــزة الالكترونيـــة ومكـــان للعبـــادة لأداء الطقـــوس الدينيـــة وأمـاكن لـوت الفـراغ مخـيم كأنـه وطـن. والمخـيم لـن يكـون وطـن أبداً انه مكان مؤقت جـداً لان العـودة إلـي الحيـاة مـرة أخـري تحتـاج إلــي حيــاة دائمــة ومســتقرة في مكــان الأبــد هــو الســودان المفقــود. بطبــع الإنســان ينســي بــدأت هــذه الحكايــة منــذ ســت ســنوات ورويــداً رويــداً بــدأت الصــدمة والمشــكلة الأولــي تتلاشــي. جــاء النــاس مــن الولايــات المختلفــة مــن شمــال دارفــور وجنــوب دارفــور وشرق دارفـور وغـرب دارفـور وغيرهـا مـن المنـاطق الأخـرى كلـهم في مخـيم واحـد، وبعـد انقضـاء العـام الثـاني بـدأ اللاجئـون مرحلـة تــوطين واســتقرار فاســتبدلوا الخيــام بمنــازل ثابتــة بحجــرات مبنيــة ومسقوفة بالقش وأخري مبنية بالطول الأخضر والطين.

المرأة في داخل المخـيم وخـارج المخـيم لهـا دور كـبير في عمليـة تشـيد المنازل ولهـا القـوة في الجانـب العملـي حاضـرة في كامـل فضـاء هـذا المخــيم، فــدورها لم ينحصــر داخــل المخــيم باعتبارهــا زوجــة وأم بكل مـا يترتـب عليهـا مـن مجتمـع ذكـوري مـن أعمـال والتزامـات،

فتقوم بكل العمل في داخل المنزل وفي الخارج بتقويم بجلب الماء وجلب الحطب وغيرها من الأعمال الأخرى.

منظمة الصحة العالمية عملت لنساء المخيم برامج مخصصة للنساء مثلاً (محو الأمية – توليد (قابلات) – أعمال يدوية – صناعات – خياطة – وغيرها من الأعمال الأخرى).

وظلت النساء بين نيران الحروب والنزوح وبعضهم من تعلم صناعات بسيطة لا تسد الرمق لكن الأفضل من البقاء من دون عمل.

والمعيشة يحصل كل فرد من أفراد الأسرة علي حصة من الطعام بالإضافة إلي الاجتهادات والمقدرات الفردية.

منهم من يعمل في صنعة الطوب الأخضر ومنهم من يعمل الفخار ومنهم من يعمل في مجال الخياطة ومنهم من يعمل الأعمال اليدوية ومنهم من يعمل تاجر في الأسواق ومنهم من يعمل في صناعة الفخار وغيرها من الأعمال الموجودة الأخرى.

حليمة قائلاً:

- "مرت خمسة سنوات منذ أن نزحنا من قريتنا في دارفور وهنا في المخيم وقضيتنا واحدة طردتنا الحكومة وهنا يجمعنا أكثر من قضية واحدة وأصبحنا هنا كلنا جسم واحد وكلنا متكافلين مع بعض ومتعايشين مع بعض حتى ولو رجعنا دارفور نتعايش بنفس الطريقة والتضامن، والحكومة السودانية استعملت وسائل عديدة بالاتصالات بواسطة العلاقات بواسطة الأهل فسحبت كل المعلمين ذات الكفاءات والمقدرات العالية والمتبقي منهم المنظمات بذلت كل جهدهم واجتهادهم لكي يؤهلوا المعلمين حتى يقوموا بواجبهم ودورهم العملي، والشباب والأطفال هم الغالبية العظمي للدراسة داخل المخيم وتوجد في المخيم مدرستين وأكثر من عشرة مدارس لرياض الأطفال و6 مراكز

لمحـو الأميـة، وهنـا جميعـاً نـادمون في الفـترات السـابقة لأننا ما قـد درسـنا شـيئاً، وكـل الحكومـات الـتي تعاقبـت علـي نظـام الحكـم لم تعطينـا فرصـة للتعلـيم والـتعلم، البشير قتل لنـا أولادنـا بالسياسـية (سياسـة فـرق تسـد)، انه دمـر وهـدم العلاقـات بـين المجتمعـات بـين الأعـراق الأفريقيـة والأعـراق العربيـة، والهـدف مسـح كـل الأعـراق الإفريقيـة وتم مسـحها بـالطبع يـرتبط مستقبلنا بعمـل اللجـوء وبدايـة العـودة غائبـة في المنفـي وغائبـاً عـن الـوطن الحبيـب لكـن زمـن العـودة إلـي الـوطن يحضـر بقـوة إلـي السـودان مواطنـون ووطـن الآبـاء والأجـداد مسـقط رأسـنا ولكـن بأفعـال البشـير وبوجـود البشـير لـن نرجـع إلـي الـوطن والأفضـل المـوت هنـا خـارج الـوطن، لـيس لنـا أمـل العـودة إلـي السـودان، لانـوا لا يوجـد امـن متكامـل لكـي حتـى نرجـع دارفـور، والرجـوع بعـد تـوفير الحمايـة وتـوفير

الأمــن في إقلــيم دارفــور بصــفة خاصــة والســودان اجمــع شماله وشرقه وغربة وجنوبه ووسطه بصفة عامة".

الغريب عن وطنه

مهما طال غيابة

مصيره يرجع تاني

لي أهله وأصحابه

في ظل وطن جديد

في ظل سودان جديد يسع الجميع.

*****

"الغريب عن وطنه

مهما طال غيابه

مصيره يرجع تأني

لي أهله وأصحابه

في ظل وطن جديد

يسع الجميع".

****

التعريف ب دارفور

دارفور هي من أكبر إقليم من أقاليم السودان وتقع حدوده الغربية مع ليبيا وتشاد وجمهورية أفريقيا الوسطي. وقد قُسمت دارفور في عام 1994م إلي: جنوب دارفور "نيالا"، وشمال دارفور "الفاشر" ، وغرب دارفور "الجنينة". سكان دارفور مجموعات متعددة الأعراق فيها أعراق أفريقية : "الفور، والمساليت، والزغاوة، والتنجر، والتاما، وغيرها ...".

وأعرق عربية : "الرزيقات، والبني هلبه، والبني عامر، والبني حسين، وغيرها ...".

نجد أن في دارفور صراعُ حول الأرض بين الأعراق الأفريقية هُم المزارعين المُقيمين والمُستقرين في دارفور، والأعراق العربية هُم الرُعاة يمتلكون الماشية (الأبقار، والماعز، والأغنام، والإبل) وهُم غير مُستقرون بل، وإنما هُم رُحل يرحلُون مِن مكان إلي أَخر.

الصراع في دارفور مِن اجل الثروة والأرض.

في بداية الألفية بدأ حربٌ في دارفور مِن أجل الأرض والثروة من قِبل الميلشيات "الجنجويد"، الذي تابعة لنظام حُكم البشير آنذاك، مِن أجل إنها وتدمير القبائل الأفريقية. وإنهاء أي كائن حي ذُو بشرة سوداء أي الذين ينتمون إلي الأعراق الأفريقية، وهذا ما يسمي بالتطهير العرقي. بالضبط حصل التطهير العرقي للأعراق الأفريقية، بواسطة الإبادات الجماعية، بالنهب، والقتل، والاغتصاب، والسلب، وحرق القُرى، والتشريد، والنزوح، واللجوء. ميلشيات النظام "الجنجويد" ارتكبوا أبشع أنواع الجرائم ضد الإنسانية في تاريخ البشرية، ارتكبوا كل جرائم ضد الإنسانية، وارتكبوا كل الموبقات السبع بكل أنواعها في أهالي دارفور الأبرياء ...

بأي ذنبُ قُتلوا ؟ بأي ذنبُ اُغتصبُوا ؟ بأي ذنبُ شُردُوا ؟ بأي ذنبُ نُزحوا؟

بأي ذنبُ مُورست فيهم الإبادات الجماعية؟ بأي ذنبُ لجوء؟ بأي ذنبُ سُلبوا ونُهبوا حقوقهم؟

كل الصراع القائم في دارفور من أجل الأرض والثروة مما أدي بحياة الملايين من الشعب الموجود في دارفور من بداية (2002-2003)م وحتى الآن.

إقليم دارفور:::

يقع إقليمُ دارفور في غرب السودان وأحياناً يسمي بالإقليم الغربي نسبتاً للتهميش، يُحده أربع دول، من الشمال الغربي دولة ليبيا المجاورة للإقليم، ومن الغرب دولة تشاد المجاورة لها، ومن الجنوب الغربي دولة أفريقيا الوسطي المجاورة لها، ومن الجنوب دولة جنوب السودان المجاورة لها الذي انفصلت من السودان في 2011 بنفس المعيار القائم في دارفور، وكذلك جبال النوبة، وشرق السودان.

عدد سكان دارفور 9 مليون نسمة حسب إحصائية عام 2017م، ويبلغ مساحة إقليم دارفور حوالي 493,180 ألف كيلو متر مربع. وإقليم دارفور من حيث المساحة يُعادل مساحة دولة فرنسا من حيث المساحة. معظم سكان إقليم دارفور ذات

الأعـراق الإفريقيـة (زراعيـة) مسـتقرة، وجـزء قليـل مـن الأعـراق العربية(رعويـة)، بعضـها مسـتقرة والـبعض الأخـر بـدو رُحـل الـذين يسـعون بـالرعي بـالمراعي. إقلـيم دارفـور غـني بـالثروات المعدنيـة والحيوانيـة والزراعيـة والمائيـة والنفطيـة، وفيـه تُكثـر فيهـا الغابـات وتُكثـر فيهـا غابـات الهشـاب الـتي تنـتج الصـمغ العربـي، وتقـع فيـه جبـال مُـرة احـد الأكثـر جبـال خصـوبة في المنطقـة الـتي تتميـز بمنـاخ متميـز، والـتي تمتـاز بمنـاخ البحـر الأبـيض المتوسـط بإنتـاج الفاكهـة، وفيـه الـنفط يصـل إلـي 7 مليـار برميـل يوميـاً في هـذا الإقلـيم المتميـز بـالخيرات الـوفيرة والمتعـددة. عـاني إقلـيمُ دارفـور عـاني الكـثير مـن موجـات الجفـاف في تسـعينيات القـرن الماضي، وبات الكثير مـن سـكان دارفـور يُعـانوا مـن الفقـر والجـوع والأمراض، وسـط تغيـب الـدعم الحكـومي مـنهم، (حكومـة الإنقـاذ أو حكومـة المـؤتمر الـوطني)، مُنـذ أمـدٍ طويـلُ، وبهـذا الصـدد أدي إلـي انـدلاع نـيران الحـرب بـين المـزارعين والرعـاة بسـبب الجفـاف القائم في إقليمُ دارفـور الـذي عـاني إقلـيم دارفـور مُنـذُ أمـدٍ طويـلُ

مـن الجفـاف الـذي دمـر وهلـك الكـثير مـن الثـروة الحيوانيـة في إقليم دارفور.

جذور الصراع:::

الصـراع في دارفـور السـبب الرئيسـي هـو النـزاع علـي الأراضـي الـتي بـدأت بـين رُعـاة الماشـية وأهـل الأرض، وكـان بـين العـرب السـودانيون الرُحـل، والأفارقـة الـذين يعيشـون في إقلـيم دارفـور مُنـذُ أمـدٍ طويـلُ جـداً. إقلـيم دارفـور ضَـربة جفـافٌ في تسـعينات القرن الماضي هلـك عـدد كـبير جـداً مـن الثـروة الحيوانيـة في إقلـيمُ دارفـور. لم يعـد المـزارعين باسـتطاعة زراعـة أراضِـيهم بسـبب الصَـراع القـائم مـا بـين المـزارعين والرعـاة أصـحاب المواشـي. وسـاعد كُـبر مسَـاحة إقلـيمُ دارفـور في تـأجِيج الصَـراع بـين الرُعـاة والمـزارعين حَـول المراعـي والأرض والميـاه. وشـكل صـراع مـع السـلطة ممـا أدي إلـي التمييـز العنصـري ضـد السـودانيون الأفارقـة، بـدأ نظـام عمـر البشـير المعـروف بنظـام الإِنَقـاذ أو المـؤتمر الـوطني بإسـكات أصـوات (أفـواه) إقلـيمُ دارفـور ممـا جعلـه دافعـاً أساسـياً

في اندلاع حرب دارفور. إقليم دارفور صَار مهشماً سواء كان في السلطة، والخدمات، والثروة، والتنمية والعمران، وغيرها وأصبح مهشماً تهميشاً ثقافياً، واجتماعياً، وسياسياً، واقتصادياً، علي مَر كل النخب السياسية التي تداولت علي حكم السودان. تم تهميش كل الأقاليم الذي يُمثل معظم سكانها أفارقة، مثلاً إقليم دارفور، وإقليم جبال النوبة، وإقليم شرق السودان، وإقليم جنوب السَّودان قبل الانِفصال ومن ضمن هذا التهميش أدي إلي انِفصال جنوب السودان بتقرير المصير 2011م. في بداية الألفية أسَس نظام الإنقاذ نظام عمر البشير ميلشيات تحت اسم الجنجويد، واستهدفت كل الأعراق الإفريقية جست من اجل تعريب إقليم دارفور ومن اجل ثرواتها ومن اجل ارض دارفور، وأيضاً الإهمال، والتهميش الذي عانها الإقليم الغربي (إقليم دارفور)، من حيث التنمية والخدمات العامة، والسُلطة والثروة والي أن توسعت دائرة الحرب أدت إلي نتائج كارثية. قامت الحكومة بتدريب الأعراق

العربيـة واهتمـت حكومـة البشـير بتـدريب المليشـيات للقتـال في صـف الحكومـة ضـد الأعـراق الإفريقيـة جسـت وأطلقـت علـي الميلشـيات اسـم الجنجويـد. وقامـت الميلشـيات بحـربُ مفتوحـة في إقليم دارفور وتحـول الصـراع إلـي إبـادات جماعيـة، الـذي راح فيهـا الملايـين مـن المـدنيين والمـواطنين العُـزل، والآلاف مـن النسـاء والفتيـات القُصـر تم اغتصـابهم وتشـريدهم ونـزوحهم. سياسـية الأرض المحروقـة الـتي أدت إلـي هجـرة الآلاف مـن المـدنيين العُـزل إلـي دولـة تشـاد، وإفريقيـا الوسـطي، وجنـوب السـودان، وغيرهـا من الـدول المجـاورة الأخـرى. وقتـل وتعـذيب الأطفـال والشـيوخ ممـا أدي بحيـاة الملايـين مـن الأرواح، وبعـد كـل الانتهاكـات ضـد مواطنـون دارفـور، رفضـت حكومـة البشـير وصـول المسـاعدات الإنسـانية والمنظمـات الدوليـة مـن اجـل التـدخل والمسـاعدات الإنسـانية، مـن كـل الكـوارث الإنسـانية. حـروب أهليـة في أجـزءُ السّـودان المختلفـة والـتي بـدأت في جنـوب السـودان ثـم انتقلـت إلـي المنـاطق ذات الخصوصـية الحضـارية في جبـال النوبـة، وجنـوب

كردفان، النيل الأزرق، ودارفور، وشرق السودان، وأقصي شمال السودان، وهي دليل علي عجز الأحزاب السياسية القديمة في التعبير عن تلك الخصوصيات والهويات في إطار هوية قومية سودانية. وانهيارُ اقتصادي مُريعُ ومُتواصل مُنذ منتصف السبعينات من القرن الماضي مما أدي إلي عمليات إفقار واسعة وخاصة في المناطق المهشمة وظُهور الجاعات ونزوح سكان دارفور إلي المناطق الحضرية وخاصة العاصمة، والسكن في أطراف المُدن، أصبحت الفواصل الاقتصادية والاثنية، والعرقية ظاهرة موجودة حتى في وسط السودان (الجزيرة، الكامبو). ومعسكرات النزوح، واضحة في تركيبة المدن السودانية مما شكل عقبة حقيقية أمام الاندماج القومي لمجتمع المدينة والمناط به عملية البناء القومي. وكل النخب السياسية المتعاقبة علي الحكم كلها وجهُ واحد لسياسات الإقصاء والتهميش وعدم الاعتراف بالواقع المُتعدد مما أدي إلي استمرار الأزمة السودانية.